عن رغبته ، فبينما كان يوسف مع نفر من أترابه فى رحلة للصيد بإحدى الغابات ، تفاجئهم إحدى عصابات قطاع الطرق ، وتخطف هذا الصبى من دونهم ، لامتيازه عنهم ، فى هيئته وملامحه وعلائم الصحة والقوة البادية عليه ، ثم باعته هذه العصابة لأحد كبار الرجال ، ممن يمارسون تجارة الرقيق وهو كرد أحمد ، الذى قصد به إلى الإسكندرية سنة ١٧٤٣ ، — وكان عمر يوسف آنذاك خمسة عشر عام — الذى باعه إلى مديرى الجمرك فى ذلك الوقت الأخوين اليهوديين إسحق ويوسف .

بيعه للمماليك :

تقرب مديرا الجمرك إلى الأمير إبراهيم بك الذى كان من الشخصيات المرموقة فى ذلك الوقت ، وأهديا إليه هذا الفتى ، وكانت هدية ممتازة حقا . فقد امتاز الفتى إبن الخامسة عشر بذكاء نادر ، وعينين تلمعان ببريق غريب ، فيه معنى الإرادة والحزم وقد قبل سيده هدية مديرى الجمرك برضا وإرتياح كبيرين ، وقام بتنشئته على خير وجه ينشأ فيه صغار المماليك فى تلك الأيام . فقد رباه على مبادئ الإسلام وسماه عليا ، وعلمه القراءة والكتابة بالتركية والعربية ، ثم دربه على فنون الحرب والفروسية ، ثم لما اطمأنت نفس الفتى إلى أستاذه ، أظهر مزيدا من الإخلاص والولاء له ، فرقاه سيده إلى أن أصبح أمينا لمخازنه ، وفاق المماليك الآخرين فى ركوب الخيل ، وقذف الحراب ، ولعب الجريد ، وضرب السيف ، واستعمال الأسلحة النارية ، وهو فى كل هذه الألعاب والفنون ، يمزح ويجد ، ويلعب ويدرس ، يستلفت الأنظار فى حركاته وسكناته ، فى قيامه وقعوده ، فى ذهابه وإيابه ، يمتاز بالخفة والنشاط ،